

الذكرى العاشرة للرافعي*

للاستاذ محمود أبو رية

مما يجب علينا لفظائنا وعلماؤنا الذين ينزعهم الموت، من بيننا، أن نتهز كل مناسبة تمر بنا نستلمن بفضلهم ، ونبت التحية الطيبة إلى أرواحهم ، وفي ذلك وفاء لهم وأحياء لذكورهم حتى لا نرى بدم الوفاء ، ولا نزن بنكران الجليل

ولمناسبة انقضاء عشرة أعوام على وفاة أديب العربية وكتابتها السيد مصطفى صادق الرافعي رحمه الله نرى من الحق علينا أن نبت إلى روحه الطاهرة بتحية مباركة طيبة ونرجو أن تفي هذه التحية ببعض ما له من فضل وما يستحق من تقدير

نبت الرافعي في أكرم منبت وأزكى منرس ؛ فبيت (الرافعي) مشهور في الأقطار الإسلامية بأنه بيت علم وأدب وتقوى ، ولئن كان رحمه الله قد ورث عن آباءه الدين والتقوى ، فإنه قد نشأ على

(*) تولى رحمه الله في صباح يوم الاثنين ١٠ مايو سنة ١٩٣٧ .

حب الأدب العربي، فأقبل على دراسته دراسة استيعاب واستمحاء وتحفيق ، حتى تضلع من فنونه ، وتعلأ من أصوله ، ووقف على أساليب بلغاء العربية وأحاط بطرائقهم ومناحيهم حتى أصبح صدره خزانة أدب . وقد آناه الله ملكة قوية في البلاغة ، وحاسة دقيقة في البيان ، وبهذه الدراسة الهيطة للأدب العربي، والملكة القوية في البلاغة ، والذوق الدقيق في البيان ، استطاع أن يتدع لنفسه أسلوباً خاصاً في الكتابة العربية يبين أساليب الكتاب جميعاً إذ يجمع هذا الأسلوب بين البلاغة والحكمة والخيال ، هذا مع النكتة اللاذعة والكناية المستملحة . حتى لو أنك نصبت جملة من إنشائه بجانب جملة كثيرة من إنشائه غيره من كتاب العربية لبانت جلته منها جميعاً ، ولتادت على نفسها بأنها للرافعي ومن أسلوبه رحمه الله

لقد شهوه بالجاحظ ، وكأنهم لما رأوا أسلوبه محكم النسيج متخير اللفظ مصقول العبارة أنيق الديباجة ، قد خلدت عليه البلاغة زخرفها ، وكتته الفصاحة بحميل وشبها؛ قالوا إنه جاحظ هذا العصر . ولكن الجاحظ على إمامته في البلاغة وبراعته في

خرس منخورة تؤله حتى ما ينام منها الليل ، فلم يكن يجد طيباً يحشوها ويلبسها الذهب ، وأنت لا تؤلك خرسك حتى يقوم في خدمتك الطبيب . وكان الرشيد يسهر على الشموع ، ويركب الدواب والمحمل وأنت تسهر على الكهرياء ، وتركب السيارة . وكانا يرحلان من دمشق إلى مكة في شهر وأنت ترحل في أيام أو ساعات .

فيا أيها السادة والسيادات .

إنكم سمداء ولكنكم لا تدررون . سمداء إن عرفتم قدر النعم التي تستمتعون بها ، سمداء إن عرفتم نفوسكم وانتفتم بالمحزون من قواها ، سمداء إن سددتم آذانكم عن صوت الديك ولم تطلبوا المستحيل فتحاولوا سد فمه عنكم ، سمداء إن طلبتم السعادة من أنفسكم لا مما حولكم .

أكل الله عليكم سمدانكم ، وأسعد الله مساءكم ، والسلام عليكم .

هل الظنطاري

(القاهرة)

اعرف نادلا كان في (قهوة فاروق) في الشام اسمه (حلمى) يدور على رواد القهوة وهم منات يسألهم ماذا يطلبون : قهوة أو شايباً أو كازوزة أو ليموناً ، والقهوة حلوة ومررة ، والشاي أحر وأخضر والكازوزة أنواع ، ثم يقوم وسط القهوة ويرد هذه الطلبات جهراً في نفس واحد ، ثم يجيء بها فنا يجزم مما طلب أحد حرفاً

فيا سادة ، إن الصحة والوقت والعقل ، كل ذلك مال ، وكل ذلك من أسباب السعادة لمن شاء أن يسعد .

وملاك الأمر كله ورأسه الإيمان ، الإيمان يشبع الجائع ، ويدفيء المبرور ، ويفنى الفقير ، ويسلي المحزون ، ويقوى الضعيف ، ويسخى الشحيح ، ويجمل للانسان من وحشته أنسا ، ومن خبيثته بجحاً .

وأن تنظر إلى من هو دونك ، فإنك مهما قل مرتبك، وساءت حالك ، أحسن من آلاف البشر ممن لا يقل عنك فهماً وعلماً ، وحسباً ونسباً ، وأنت أحسن عيشة من عبد الملك بن مروان ، وهارون الرشيد ، وقد كانا ملكي الأرض . فقد كانت لعبد الملك

الأوروبية؛ ومتى صار القرآن كذلك فقل على الإسلام العناء .
وظل رحمه الله رابضاً متحفزاً يحمي ذمار العربية ويذود عن
حوضها إلى أن انقلب إلى ربه

وإني لأشهد أنه كان يتحرق على ما وصلنا إليه من ضئف في
الأدب ، وأحلال في الخلق ، ويود لو نتاح له الفرصة ليطلع على
الناس في كل أسبوع بمقال في إحدى الصحف يؤدي فيه شيئاً
من رسالته حتى سنحت له فرصة الكتابة بمجلة الرسالة الغراء
وارتقى منبرها فامتلاً قلبه فرحاً وقد بدا سروره في خطاب أرسله
إلى فقال (١)

« أما الرسالة فهم كتبوا إلى بعد أن تركت طه حسين ...
وقد رأيت أني مخطيء في الاقتصار على وضع الكتب ، وكان في
نيتي من زمن الكتابة أسبوعياً في مجلة كبيرة كما أخبرتك
فلما عرضت هذه الفرصة انتهزتها لأجرب هذه الطريقة ... ولعلني
أزفق إن شاء الله بعمونه تعالى في المضي في الكتابة والقوة بالله ،
وسأنوع المواضيع كما رأيت ويدخل فيها فصول الكتاب النبوي
بين الوقت والوقت إلى أن يتم وأنا أقسم في كتابته الآن عسراً
شديداً من الحر والتمب وحالة الميشة الحكومية لعنة الله عليها
« وهذا الموضوع صعب جداً يا أبا رية ليس في العربية مقال
واحد منه . ومن يومين أطلعتني المريان على الجزء الأول
للنظرات (٢) فإذا فيه مقال عن الهجرة لا يساوي نصف مليم !
فادع الله لنا بالعمون في اقتحام هذه العقبة ... »

والكتاب النبوي الذي يشير إليه الراقص في هذا الخطاب
هو كتاب كان يريد أن يضمه في رسالة الرسول صلوات الله
عليه ويجعل عنوانه (محمد)

ولقد كان له غير ذلك آمال يريد تحقيقها وأعمال بود
استكمالها ، ومن هذه الأعمال كتاب (تاريخ آداب العرب)
الذي كان يقول عنه أنه دين في عنقه حتى يتمه. وقد انعقد الاجتماع
عندما ظهر الجزء الأول منه أنه لم يؤثف في موضوعه مثله
ومن أشادوا به الأستاذ الجليل أحمد لطفي السيد باشا فقد

الترسل ، وطول نفسه في العبارة ، وافتنائه في تلويها وابداع
نصيرها ، كان عندما يستطرد إلى غير الغرض الذي ساق كلامه
إليه ، ويذهب في شطاب القول ههنا وههنا يؤدي به هذا
الاستطراد إلى الخروج عن بلاغته العالية .

ومع أن الجاحظ حجة من حجج العربية وامام كتابها على مد
المصور فانك لا تجد في مطاوي كلامه قبساً من الحكمة .
والحكمة من أقوى اداة الكاتب والشاعر

واقدم كان للراقص خيال بعيد ينفذه به إلى أقطار الباني الدقيقة
فيستوحى منها الدرر ، ويخلق في جواء التصورات البعيدة
فيستنزل منها الفرر

ولا نقول هذا بحاملة له رحمه الله ، ولا يدفعنا إليه تشييع
لما كان بيني وبينه من أواصر الصداقة والمودة ، وإنما هو الحق
والانصاف .

وقدم كان الراقص أستاذ مدرسة خاصة في الأدب والكتابة،
وكان في الأخلاق الكريمة والتمسك بأداب الإسلام ومجد العرب
أمة وحده ، لا يعنيه شيء في الحياة إلا أن يحرس أمة القرآن
ويحافظ على أساليبها ، ويبعث من تراثها ، ثم كان لا يفتأ يعمل
على إحياء الآداب الإسلامية والأخلاق الدينية ، حتى ينشأ هذا
الجيل على محبة لغته ودرس فنونها والنموس بأدائها ثم يأخذ
بأخلاق دينه وصالح عاداته . إذ كان يستيقن رحمه الله - وهو
على حق - ان الأمة لا تنهض إلا باستمساكها بأصول لغتها
وكريم أخلاقها ، ثم لما بعد ذلك أن تأخذ من العلوم والفنون
النافعة في الحياة ما شاءت وشاء لها نظام العمران

ولما انبثت فتنة (التجديد والمجددين) منذ أكثر من ثلث
قرن وكان أهلها يحاولون أن تكون الكتابة (باللغة العامية) وأن
نهجر أدبنا القديم وتراثنا التليد كان هو أول من نازل دعائها
وظل وحده يناضل ويصاول حتى كتب له النصر وخرجت
الأساليب العربية الصحيحة ظافرة تشرق على أسلات الأقلام

وما كانت هذه الفتنة لإصلاح يراد ولا كانت لتطور معتدل
وإنما كانت ترمي إلى غرض بعيد؛ ذلك أن القضاء على البلاغة
العربية يؤدي لا جرم إلى هجر القرآن وعدم فهمه وبذلك
يصبح هذا الكتاب المقدس للغة العربية كالاتينية للغات

(١) في خطاب أرسله لل مؤرخ ١٩٣٤/٧/٤ .

(٢) كتاب النظرات للمنطوطي رحمه الله .

عقد له صفحات كثيرة في الجريدة ولولا اننا نؤثر الإيجاز لأتينا على ما كتبه هنا^(١)

وعقد له الأمير شكيب أرسلان رحمه الله صفحة طويلة في صدر جريدة المؤيد^(٢) جاءت فيها هذه العبارة « لو كان هذا الكتاب خطأ محجوباً في بيت حرام اخراجه منه لاستحق أن يحج إليه ، ولو عكف على غير كتاب الله في نواشيء الاسحار لكان جديراً أن يكف عليه »

ومن الكتب التي أعماها كتاب (أسرار الإيجاز) وكان رحمه الله يفاخر به وقد وضع أكثره . وكان يريد أن يضع « رسالة في معارضة الدرّة اليتيمة لابن المقفع بنفس الأسلوب وعلى الطريقة الأولى في الكتابة العربية طريقة المتقدمين »^(٣) وكتب إلى في خطاب^(٤)

« وأنت قرأت الآم فررت وهذا الكتاب مشهور في لغات أوروبا وآدابها فأنا أريد معارضته وقد قام بذهني أنه لا راحة لي إلا إذا أخرجت مثله »
وقال في خطاب آخر :

« ولا يزال في فكري أن أضع كتاباً صغيراً يكون أشبه بقصيدة واحدة في معارضة سفر من أسفار التوراة كأنا شيدسليمان مثلاً »^(٥)

وقال في خطاب^(٦)

« وأنا بحمرة من كليله ودمته^(٧) فلو وقفتي الله إلى آتامه كتاباً برأسه لكان حادثاً في تاريخ العربية كلها »
ولا استوفى هنا كل ما كان يريد عمله

ولقد كان له في البحث والاستقصاء شأن عجيب فيوم أن غمره الجمل وأخذ يؤلف كتاب أوراق الورد بعد رسائل الأحزان أراد أن يرف هل كتب (اخوان الصفا) في الجمل

(١) تراجع من ما كتبه في عدد الجريدة الصادرة في ٤ مارس سنة ١٩١٢ .

(٢) جريدة المؤيد الصادرة في ١٩ فبراير سنة ١٩١٢ .

(٣) من خطاب خاص مؤرخ ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٥ .

(٤) من خطاب خاص مؤرخ ١/٢٥ / ١٩٢١ .

(٥) من خطاب مؤرخ ٥ يونيو سنة ١٩٣٦ .

(٦) من خطاب مؤرخ ١٢ سبتمبر سنة ١٩٢٦ .

(٧) نشر بعض فصول من هذا الكتاب في كتابه (تحت راية القرآن)

فكتب لي في خطاب مؤرخ ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠ « ... أبحث في إخوان الصفا هل كتبوا عن الجمل فإني لم

أقرأ في هذا الكتاب إلا قليلاً ولا وقت عندي لتصفحه ... »

كتب إلى في خطاب آخر مؤرخ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣١ يقول « أحب أن تراجع قسم النطق من رسائل إخوان الصفا لمعرفة هل استعمل واضعو هذه الرسائل كلمة (استنتاج) أم لا فإن من مقالات المجموعة^(١) مقالة عن هذه الكلمة وحل استعمالها . أما الكلمة نفسها فثرت عليها في كتابة ابن سينا وهذا يدل على أنه أخذها عن قبله ، فلا بد أن تكون قد وردت في رسائل إخوان الصفا . وإن القول في الرافعي وأدبه لطويل؛ وإنما هي سطور كتبناها لمناسبة انقضاء عشرة أعوام على وفاته رحمه الله

وإذا كان أقصى ما يقال في العطاء بعد وفاتهم أن يتحدث عن صفاتهم وأعمالهم ، وعمّا أصاب الناس بقدومهم ، وهل لهم خلف يعزى عنهم أو أنهم قد خلا مكانهم فإني أقولها كلمة ولا أخشى فيها أحدا .

ذلك إن مكان الرافعي قد خلا وأنه لم يخلفه في إداء رسالته أحد . رحمه الله رحمة واسعة .

محمود أبو ربيع

النصرة

(١) أي مجموع مقالاته وكان يسمي هذه المجموعة (الورقات) .

إعلان مناقصة

تقبل المطايات بمكتب حضرة مدير إدارة الميزانية واللاوازم بوزارة الداخلية لتاية ظهر يوم ٢٩ مايو سنة ١٩٤٧ عن مناقصة التوريدات العمومية المستديمة لسنة ٤٧ / ١٩٤٨ ويمكن الحصول على الاستعلامات اللازمة من إدارة أسلحة ومهمات البوليس ببولاق وعن النسخة من الشروط ٢٠٠ مليم ٧١٦٦